

(تعجل إلى الحج فإنك لا تدري ما يعرض لك)

د / خالد بن ضحوي الظفيري

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. عِبَادَ اللَّهِ:

قد دخلت علينا أشهر الحج، واقترب موعد رحلات أهل الإيمان والإسلام إلى بيت الله الحرام ليقضوا الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام العظام، فقد بني الإسلام على خمس كما قال ﷺ منها: (وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً). مستجيبين لله رب العالمين في قوله (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)، ومليين نداء إبراهيم عليه السلام في قوله: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)،

فيا سعادة من هيا نفسه ليكون من وفد الرحمن، ويا ندامة من فرط في الحج كل عام، فيا من شغله داء التسويف، وفي كل عام يقول سأحج العام القادم، حتى تنقضي الأعمار، وتأتي الأمراض، ويعاقب بسبب تفريطه وتسويفه بكثرة الأشغال في أوقات الحج، فلا يوفق له ولا يكتب من أهله، فمن توفرت فيه شروط الوجوب فعليه أن يبادر إليه ولا يؤخره من غير عذر

قال ﷺ (تعجلوا إلى الحج فإن أحكم لا يدري ما يعرض له) أخرجه أحمد. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ، وَتُضِلُّ الصَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَّةُ) رواه أحمد وابن ماجه.

كم ندفع لسفريات السياحة في كل صيف بل بعضهم إلى بلاد الكفر والفساد، وإذا جاء الحج استكثر ما يدفعه من مال، وعرف لتوه قيمة المال، فما تنفقه يا عبدالله الله يُخلفه الله عليه أضعافا مضاعفة، وترى ثمرته في الدنيا والآخرة.

واسمع معي ما يثثك أيها المسلم لتكون ممن يعجل بقضاء فرضه والإكثار من تطوعه ونفله، فإن الحج إلى البيت الحرام من أفضل العبادات وأجل القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه.

فالحج عباد الله من أعظم أسباب دخول الجنات وتكفير السيئات، قال ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) خ م، والحج المبرور هو الحج الذي كان العبد فيه مخلصا لله متابعا في للنبي ﷺ لا تشوبه الشريكيات ولا البدع والمحدثات ولا المعاصي والسيئات، وقال ﷺ: (من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) خ م، يرجع كيوم ولدته أمه بريئا من الخطايا معافي من السيئات، لم يبق معه إلا حسناته التي كان عملها بعد أن محيت عنه جميع سيئاته، فما أعظمه من ثوابه، ومن أكبره من عطاء.

وقال ﷺ لعمر بن العاص رضي الله عنه: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله) . رواه مسلم، فكما أن الكافر إذا أسلم زالت عنه جميع سيئاته فكذا الحاج حجا مبرورا يرجع وقد هدمت ذنوبه وزالت سيئاته.

وسئل النبي ﷺ أي العمل أفضل فقال (إيمان بالله ورسوله قيل ثم أي قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم أي قال حج مبرور) . خ م ، فعمل يقربه رسول الله ﷺ بالإيمان بالله ورسوله وبالجهاد في سبيل الله هو بلا شك عمل عظيم ثوابه، والحج لا شك أنه جهاد لأنه عبادة قولية ومالية وعملية يحتاج إلى صبر لما يلقاه الحاج من مشقة وعناء لذلك لما استأذنت عائشة رسول الله ﷺ في الجهاد قال لها: (لا. لكن أفضل الجهاد حج مبرور) . رواه البخاري. وجعل رسول الله ﷺ الحاج والمعتمر وفد الله مع أهل الجهاد، عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم) . رواه ابن ماجه

عباد الله:

هل يعلم المقصّر المفرط الذي ترك حجه وأخره حفاظا على ماله وإبقاء لدينيه أن الحج من أعظم أسباب الغنى وذهاب الفقر لكونه من أسباب حلول البركة من الله تعالى على دنياك ومالك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة). رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ومن الأحاديث الجامعة التي فيها فضائل الحج ما جاء في حديث ابن عمر أن رجلا جاء يسألان رسول الله ﷺ فأخبرهما رسول الله بما جاء يسألان عنه، وكانا يسألان عن الحج وفضائل أعماله، فكان جواب النبي ﷺ أن قال: ((فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحى عنك خطيئة وأما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام وأما طوافك بالصفاء والمروة كعتق سبعين رقبة وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول عبادي جاؤوني شعثا من كل فج عميق يرجون جنتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات وأما نحرك فمذخور لك عند ربك وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ومحى عنك بها خطيئة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى)). رواه الطبراني.

فأعدّ يا من لم تحج ولم تقض فرضك أن لو داهمك الموت ما أنت قائل لربك، وما هو عذرک، ألم يعطك الله المال، ألم يوسع عليك في رزقك، ألم يرزقك الأمن في الأوطان، ألم يعطك الصحة والعافية، فأعد للسؤال جوابا، فكل منا مسؤول عن عمله ومحاسب عليه، (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ:
أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ.
مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ:

نحن في بداية أشهر الحرم وهن (ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وشهر رجب بعد ذلك)، وهذه الأشهر من مواسم الطاعات وأوقات البركات، فيها جملة من أيام الله العظام، ففيها العشر الأول من ذي الحجة والحج ويوم عرفة ويوم النحر ويوم القر وبقية أيام التشريق وعاشوراء في محرم، أوقات تضاعف فيه الحسنات، وتعظم فيها السيئات، لذلك نهى الله تعالى العبد عن ظلمه لنفسه فيها فقال تَعَالَى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الرِّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ السَّنَةَ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ، وَرَجَبٌ: شَهْرٌ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

فعلى العبد المؤمن أن يستشعر ما هو فيه من هذه الأزمنة الشريفة فيكف النفس عن الشهوات والشبهات، ويستغلها في الرجوع إلى رب البريات خالق الأرض والسماوات.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ): (في كُلِّهِنَّ. أي في الشهور الاثني عشر) ثُمَّ حَصَّ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَعَلَهُنَّ حُرْمًا وَعَظَّمَ حُرْمَاتِهِنَّ وَجَعَلَ الذَّنْبَ فِيهِنَّ أَعْظَمَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْأَجْرَ أَعْظَمَ). رواه الطبري.

فأكثرُوا عباد الله من الطاعات والحسنات وبادروا إلى الخيرات والإحسان لتكونوا من أهل الجنان، قال تَعَالَى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ).